# الاستدلال التفسيري السياقي
# على القضايا اللغوية عند سيبويه

**د. محمد فضل ثلجي الدلابيح**
**الأردن/ جرش ـ محاضر غير متفرغ**
**جامعة البلقاء التطبيقية**
**mohammaddalabeeh2008@yahoo.com**

بسم الله الرحمن الرحيم

## الملخص

إنّ الهدف الذي يسعى البحث إلى تحقيقه يكمن في بيان أنّ سيبويه كان يلجأ في إثبات ما يذهب إليه من آراء نحوية إلى ما يمكن تسميته بالعلل المُفسِّرة السياقية والتي جاء تصنيفها بناء على ما يحدث من تفاعلات داخل السياق بين جميع عناصر اللغة إذ جاءت تلك العلل على النحو الآتي:علة الاستعمال، وعلة الاستغناء، وعلة عدم الاستحسان، وعلة إطالة الكلام، وعلة عدم التصرف، وعلة الحركة، وعلة التقاء الساكنين، وعلة التضعيف، وعلة التقارب، وعلة التمكّن، وقد انتهى البحث بمجموعة من أهم النتائج التي توصل إليها.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد،وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعدُ

فهذا بحث نحاول أن نظهر فيه ما للسياق من دور في إثبات ما يذهب إليه سيبويه من آراء نحوية الذي قدّم للنحو العربي ما لم يقدمه أحد، حتى ليعد بحق شيخ النحاة، ويعد كتابه كنزاً من الكنوز التي نفتخر بها في تراثنا العربي. وقد اعترف بفضل سيبويه قديماً وحديثاً .وكتابه احتل مكانة مرموقة دفعت بعض العلماء ومنهم المازني( ت٢٤٧هـ) إلى القول: " من أراد أن

يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ ".(١) وقال المبرد:( ت٢٨٥هـ) لمن يريد أن يقرأ عليه الكتاب: "هل ركبت البحر تعظيماً له، واستصعاباً لما فيه".(٢) وبعد أن وفقني الله عز وجل إلى كتابة هذا البحث بعد رحلة عشتها مع أول كتاب نحوي وصل إلينا.هذا الكتاب الذي وجد من العناية والاهتمام منذ ظهوره ما لم يجده كتاب آخر في حدود معرفتي،ولعلي لا أجد أحداً يُجانب الصواب إذا قال : إنَّ هذا الكتاب يُعَدُّ أصلاً لكثير من المؤلفات التي جاءت بعده فقلما نجد كتاباً لا يرجع فيه صاحبه إلى كتاب سيبويه الذي كُتبت حوله كثير من المؤلفات منذ ظهوره إلى وقتنا الحالي.

والسياق يكمن في : مراعاة ما يجب أن يكون عليه الكلام من ناحيتين:الأولى الاستعمال الصحيح للغة؛وذلك بالتوافق مع القواعد النحويّة.والناحية الثانية:النظر إلى الكلمات على أنَّها وحدة واحدة،ولا ينظر إليها على أنَّها وحدات منعزلة مستقلة؛حيث إنَّ معنى الكلمة لا يظهر إلا من خلال تفاعلها مع غيرها من الكلمات في السياق الواردة فيه".(٣)

ويُعَدُّ السياق أداة تحدث في داخلها مجموعة من التفاعلات ليست بين الكلمات فحسب، بل بين جميع العناصر اللغويّة. وهو: "البيئة الكليّة التي يتم فيها التفاعل العضوي بين جميع عناصر اللغة، ابتداء من المادة الخام المتمثلة في الأصوات، وانتهاء بالمضمون العام، والبيئة الكليّة هي المجتمع الإنساني وبيئته العامة وتعتبر هده البيئة هي الظروف الطبيعيّة للطبع اللغوي،بمعنى أنَّه لا يمكن أن تكون هناك لغة بمعزل عن هذه الظروف ؛ لأنَّ هذه الظروف ملازمة للغة بالضرورة لا تنفك عنها".(٤)

ومن الواضح أنَّ ما يُراعى في السياق ينطوي على ثلاثة جوانب أساسيّة هي : الجانب الأول : إيصال المعنى عن طريق التفاعل الذي يحدث بين الكلمات،وعن طريق التفاعل الذي يحدث بين عناصر اللغة. والجانب الثاني:مراعاة الاستعمال اللغوي الصحيح للتراكيب اللغويّة. أمَّا الجانب الثالث:فهو مراعاة الخفة في النطق على اللسان المتمثل بعدد من العلل مثل : العوض،والحذف، والتقاء الساكنين،وغيرها .

ومن هذه الجوانب الثلاثة التي يقوم عليها السياق جاءت فكرة التصنيف للعلل الواردة في هذا البحث والتي جاءت على النحو الآتي :

١. علة الاستعمال.

٢. علة الاستغناء.

٣. علة عدم استحسان: لِ (عدم الاستغناء)

٤. علة السماع .

٥. علة إطالة الكلام .

٦. علة الاعتماد على طبيعة الكلمة العربيّة.

٧. علة الاكتفاء.

٨. علة التعلّق.

٩. علة عدم التصرّف.

١٠. علة الحركة.

١١. علة التقاء الساكنين.

١٢. علة التضعيف.

١٣. علة التقابل .

١٤. علة التمكّن.

وفي الصفحات الآتية استعراض مدروس لهذه العلل، وكيفية ورودها في كتاب سيبويه .وقد حاولنا أن نبيِّن مفهوم كل واحدة من هذه العلل، مستدلين عليها بما نصَّ عليه سيبويه في الكتاب.على أنَّني حاولت أن أقدِّم ذلك بقدر من الإيجاز؛ حتى لا تتشعب القضايا التي يمكن أن تولد من هذه العلل،وهذا بيان ذلك:

١. علة الاستعمال:

يلجأ سيبويه عندما يريد أن يبيِّن الحالة الإعرابية التي يجب أن تكون عليها الكلمة إلى ضرب مثال مفترضا أن المتلقي قد قاله ومن ثَمّ يحدد الوضع الإعرابي الثابت إلى ضرب مثال مفترضاً أنَّ المتلقي قد قاله، وبعدها يحدد الحالة الإعرابيَّة للكلمة من رفع،أو نصب، أوجر مع بيان السبب ؛ وهذا ما نلحظه حين بيَّن سيبويه أنَّ كلمة (عند) في قولنا: " ما زيد على قومنا ولا عندنا " لا تأتي إلا منصوبة ؛ لأنَّه لا

يجوز حمله على (على)، ولأنَّ كلمة (عند) ترد ظرفا مبنيا على الفتح . فعلة الاستعمال هي التي استند إليها سيبويه؛لإثبات ما يذهب إليه .

يقول سيبويه : " ولو قلت : (ما زيد على قومنا ولا عندنا) كان النصب ليس غير لأنَّه لا يجوز حمله على ( على ) .ألا ترى أنَّك لو قلت:( ولا على عندنا)لم يكن لأنَّ(عندنا)لا تستعمل إلا ظرفا"، وإنَّما أردت أن تُخبر أنَّه ليس عندكم".(١)

٢. علة الاستغناء :

لحظنا في أثناء الحديث عن علة الاستعمال أنَّنا نلتزم بما هو وارد على ألسنة العرب،وبمقابل ذلك فإنَّه قد يُترك للمتلقي أحيانا الخيار في استعمال الحركة الإعرابيّة كما في باب ما تُخبر فيه عن النكرة بنكرة؛ إذ قال: " وتقول :ما كلُّ سوداءَ تمرةً ولا بيضاءَ شحمةٌ وإن شئت نصبت شحمة. وبيضاء في موضع جر كأنَّك أظهرت (كلَّ) فقلت : ولاكلُّ بيضاءَ. قال الشاعر أبو دوادٍ : (٢)

أكلَّ امرِىءٍ تحسبينَ امْرَأً ونارٍ تَوَقَّدُ بالليل ِ نارَا

فاستغنيت عن ذكرك( كل) لذكرك إياه في أوَّل الكلام،ولقلة التباسه على المخاطب"(٣)

لقد اتّضح مما سبق أنَّ سيبويه علل عدم تكرار كلمة( كل) بعلة مركبة تتمثل في ذكر كلمة (كل) في بدء الكلام،وعلة عدم الالتباس على المخاطب،مما يقودُنا إلى القول: إنَّ سيبويه يميل إلى الإيجاز مع المحافظة على الوضوح، وهذا ما تميل إليه العرب في كلامها.

وقد لحظنا أنَّه استعمل في هذه العلة شاهداً نحويا يؤكد صحة الرأي الذي يأخذ به، ولكننا لم نجده يأتي بشاهد نحوي عند حديثنا عن علة الاستعمال،وهذا يجعلنانقول :إنَّ سيبويه عند استقرائه كلام العرب لم يجد الكلمة تُستعمل إلا في حالة إعرابيّة واحدة فاستند إليها في إثبات القاعدة التي وردت في علة الاستعمال. أمَّا في أثناء تعليله بعلة الاستغناء فقد أتى بشاهد نحوي ؛لأنَّه وجد ذلك في كلامهم.

٣. علة عدم استحسان : لِ(عدم الاستغناء)

ترتبط أجزاء التركيب النحوي بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً . وانفصال أي جزء من أجزاء التركيب النحوي عن الآخر يُحدث خللا يؤدي إلى عدم وضوح المعنى المراد. وربما يكون الاهتمام بهذا الترابط يدور في ذهن سيبويه عند حديثه عن عدم استحسان أن تلي(إنَّ ):( أ نَّ) و(أنَّ) ( إ نَّ ) إذ بيَّن سيبويه– مستندا إلى علة عدم الاستغناء– أنَّ كل واحدة منهما لا استغناء لها عن الاسم والخبر موازناً ذلك بالمبتدأ الذي لا يستغني عن الخبر. وليس من المعقول أن تكون الجملة التي تليهما اسما وخبرا لهما في وقت واحد إذ قال: " واعلم أنَّه ليس يحسن أن تلي( إنَّ)(أنَّ) ولا(أنَّ) (إنَّ ). ألا ترى أنَّك لا تقول: إنَّ أنَّك ذاهب في الكتاب،ولا تقول قد عرفت أنَّ إنَّك منطلق في الكتاب ... لأنَّ الكلام بعد أنَّ وإنَّ غير مستغن كما أنَّ المبتدأ غير مستغن".(١)

أمَّا السيرافي فقد ذهب إلى خلاف ما ذهب إليه سيبويه ؛ ورأى أنَّ عدم استحسان تتابع كل من أنَّ وإنَّ؛يعود إلى أنَّ كلاً منهما للتأكيد . فمن هذا الباب نتجت كراهية الجمع بينهما. ولكنَّ السيرافي أجاز الجمع بينهما شريطة أن يفصل بينهما بفاصل أو في حالة عطف أي منهما على الأخرى .

يقول السيرافي : " لأنَّهما جميعا للتأكيد،ويجريان مجرًى واحداً،فكرهوا الجمع بينهما كما كرهوا الجمع بين اللام و(إنَّ ).فإن فصلت أو عطفت حَسُنَ. فالفصل قولك: إنَّ لك أنَّك تُحيَّا و تُكرم. والعطف قولك : إنَّ كرامتك عندي، وأنَّك تُعان ".(٢)

٤. علة السماع :

من المعروف أنَّ النحو العربي قام على ركنين أساسيين هما: السماع الذي يتمثل في العناصر الآتية القرآن الكريم،والأحاديث النبويّة الشريفة،وكلام

العرب شعرا ونثرا. والقياس الذي يكون على العناصر السابقة،وليس على عنصر واحد منها وهو كلام العرب كما أورد ابن جنّي في قوله: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"."(٣) وقد لجأ النحويون إلى القياس ؛ لأنه لم يردنا كل ما قالته العرب.

وعند انتهاء النحويين من مرحلة جمع اللغة، قاموا باستقراء المادة التي جمعوها؛من أجل وضع القواعد النحويَّة التي تبيِّن الطريقة الصحيحة في الاستعمال اللغوي.وطفقوا يعللون ما قالته العرب كلّ حسب رؤيته . ومن بين تلك العلل علة السماع التي علل بها سيبويه في قوله الآتي: " و(دونك ) لم يُؤْخذ من فعل ... فإنَّما يُنتهى فيها حيث انتهت العرب".(٤) ومما يقارب هذه العبارة ما نجده في النص الآتي من كتاب سيبويه وهو " وليس يجوز هذا في كل شيء.لو قلت هو مني مَجْلِسَك، أومتّكأ زيد أومَرْبِطَ الفرسِ، لم يجز . فاستعملْ من هذا ما استعملت العرب، وأجز منه ما أجازوا".(٥)

ومن عباراته في هذا الصدد أيضا " فاستحسن من هذا ما استحسنَ العربُ وأَجِزْهُ كما أجازته ".(١)

ومما يمكن أن نضعه في دائرة العبارات السابقة ما نجده يتكرر على ألسنة النحويين كقولهم : "هكذا قالت العرب " و "هكذا خُلقت"،وغيرها من العبارات التي يُشير ورودها إلى عدم وجود علة يُستند إليها. والتراكيب التي لا توجد لها علل نحويَّة تفسر سبب مجيئها على حالة دون حالة أخرى لا تكون لها علة غير علة السماع التي تنطوي تحتها أحكام نحويّة مُسَلَّم بها لا مجال لإجراء نقاش أو تساؤل حولها،ونكتفي عندها بقول:"هكذا سُمعت عن العرب".

٥. علة إطالة الكلام :

تميل العرب بطبيعتها إلى الخفة مستخدمة الأساليب التي تؤدي إلى ذلك،ومن بين هذه الأساليب استعمال الحركة الإعرابيَّة الأكثر خفة وهي الفتحة عندما يطول

الكلام .وإنَّ مما يؤدي إلى طول الكلام كما أشار سيبويه في باب النداء : الإضافة والصفة . فالمنادى يكون منصوبا إذا جاء مضافاً وهو أحد أقسام المنادى كقولنا: "يا عبد الله "إذ إنَّ (عبد) مضاف،ولفظ الجلالة مضاف إليه،فهنا الإضافة قد أدت إلى طول الكلام مما دفع إلى نصبه بالفتحة؛لأنَّها أخف الحركات.ومن أقسام المنادى أيضا النكرة المقصودة حيث تقول القاعدة: إذا جاء المنادى نكرة مقصودة يُبنى على ما يُرفع به كقولنا:" يا رجلُ ". أمَّا إذا وصفنا الرجل فهنا يطول الكلام وبالتالي يؤدي إلى تغيير الحركة من الضمة إلى الفتحة ؛ لخفتها.

يقول سيبويه:"زعم الخليل رحمه الله أنَّهم نصبوا المضاف نحو:( يا عبدَ الله) و(يا أخانا)،والنكرة حين قالوا:( يا رجلاً صالحاً )،حين طال الكلام،كما نصبوا (هو قبْلَكَ)،(وهوبَعْدَك )".(٢)

وقد رأى الدكتور عبده الراجحي أنَّ التعليل بطول الكلام إنَّما هو " تعليل بقوانين التركيب بمعنى أنَّ درس التراكيب العربيَّة جعله يرى طول الكلام علة لظاهرة النصب حين نعلم أنَّهم انتهوا إلى أنَّ النصب أخف من الرفع،وأنَّ الثقل لا يسوغ مع الطول".(٣)

٦. علة الاعتماد على طبيعة الكلمة العربيّة :

إنَّ من طبيعة الأشياء في هذا الكون أن تسير بنظام على وفق قوانين محددة وإنَّ من بين هذه الأشياء اللغة التي لا بد لها من وجود قوانين نحكم من خلالها على صحة التراكيب اللغويّة،ومثال ذلك أنَّ الكلمة في اللغة العربيّة تأتي مرفوعة، أو منصوبة، أو مجرورة وذلك حسب العامل الذي يسبق الكلمة،فإن يكن عامل رفع يجب أن تأتي الكلمة مرفوعة،ولا يمكن لها أن تأتي مرفوعة ومنصوبة في الوقت نفسه،فعلى سبيل المثال :إنَّ الكلمة التي تأتي نعتا تتبع

حركة المنعوت، وتكون نعتا لاسم واحد،إذ ليس من الممكن أن تأخذ الصفة حركتين إعرابيتين لكل من الاسمين الموصوفين،فهذا يُعَدُّ خروجاً عن قوانين التراكيب اللغويّة .

قال سيبويه : "لو قلت (مررت بزيدٍ القائمَ )،كان قبيحا إذا أردت قائما. وإن شئت نصبت على الشتم،وذلك قولك:(اصنعْ ما ساءَ أباك وكَرِهَ أخوك الفاسقينِ الخبيثينِ ) .وإن شاء ابتدأ .ولاسبيل إلى الصفة في هذا ولا في قولك :(عندي غلامٌ وقد أوتيتُ بجارية فارهينِ ) ؛ لأنَّك لا تستطيع أن تجعل( فارهينِ )صفة للأوّل والآخِر ولا سبيل إلى أن يكون بعض الاسم جرا،وبعضه رفعا".(١)

ومن تمام الفائدة،أن أذكرما أجمله السيرافي(ت٣٦٨هـ) حول الباب الذي أُخذ منه النص السابق،حيث قال السيرافي:"جملة هذا الباب أن يتقدم اسمان،أو أسماء قد أُعْربت

بإعراب مختلف أو إعراب واحد من جهتين مختلفتين، فلا يمكن جمع صفاتها، أو تثنيتها بلفظ واحد محمول على الإعراب الأول".(٢)

٧. علة الاكتفاء :

في العربيَّة علامات مثل ألف الاثنين التي تدل على مثنى، وواو الجماعة التي تدل على جماعة الذكور، ونون النسوة التي تدل على مجموعة النسوة،وتاء التأنيث التي تدل على المؤنث . ولكنَّ سيبويه من خلال استقراء كلام العرب وجدهم يحذفون هذه التاء وعلة ذلك الاكتفاء بذكر المؤنث، فبناءً على ما علل به فإنَّه يمكننا أن نقول: (قال فاطمة) بدلاً من:( قالت فاطمة ) ويكون ذلك جائزا .والتعليل بالاكتفاء ينطبق على قولنا: قال الرجلان،وقال الرجال .

وقد قال : " وقال بعض العرب :" قال فلانة " ... وإنَّما حذفوا التاء لأنَّهم صار عندهم إظهار المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التاء كما كفاهم الجميع والاثنان حين أظهروهم عن الواو والألف".(٣)

٨. علة التعلّق :

إنَّ ما يعنيه تعلّق كلمة بأخرى أخذها لحركتها الإعرابية كما هو الحال في التوابع المتمثلة : بالعطف، والتوكيد، والبدل، والنعت ؛ إذ إنَّ كل واحدة متعلِّقة بحركة المتبوع، سواء أكان المؤكَّد، أو المعطوف عليه،أو المبدل منه، أو المنعوت فلهذا من الممكن القول:إنَّ علة أخذ التابع لحركة المتبوع هي علة التعلُّق التي استند إليها سيبويه عند تعليله في القول الآتي :

" وإذا قلت : واللهِ لآتينَّك ثمّ الله ، فإنَّما أحد الاسمين مضموم إلى الآخر،وإن كانَ قد أخَّرأحدهما،ولا يجوز في هذا إلا الجر ؛ لأنَّ الآخر معلّق بالأول ؛ لأنَّه ليس بعده محلوف عليه".(١)

وما يُمْكن لنا أن نستخلصه من النص السابق ما يأتي :

١. إنَّ ضم أحد الاسمين إلى الآخر لا يشترط أن يكون الاسمان متلاحقين من دون فاصل

٢. إنَّ كل اسمين مضمومين إلى بعضهما يُعلل لهما بعلة التعلّق .

٩. علة عدم التصّرف :

إنَّ أحرف نصب الفعل المضارع في العربية هي:( أن، لن، كي إذن)"(٢) وإنَّ هذه الأحرف لا يجوز الفصل بينها،وبين الفعل؛حتى لا تُشبَّه بما يعمل في الأسماء كالأفعال الآتية: نحو ضربتُ،وقتلتُ، وإنَّها لا تتصرف كما تتصرف هذه الأفعال،بل تبقى جامدة على حالة واحدة وتقع في الصدارة من الكلام ولا يمكن أن تقع في موقع آخر خلاف ذلك .وهذا ما ذكره سيبويه في قوله:"ولم يفصلوا بين( أنْ ) وأخواتها وبين الفعل كراهية أن يشبهوها بما يعمل في الأسماء، نحو ضربتُ وقتلتُ،ولا تكون إلا في أول الكلام لازمة لموضعها لا تفارقه، فكرهوا الفصل لذلك، لأنَّه حرف جامد".(٣)

١٠. علة الحركة :

لقد وضَّح سيبويه أنَّ كلمة مُحْمَرٌّ إذا عدد ناها اسم رجل ورخَّمناها فإنَّنا نترك الراء الأولى منها مجزومة ؛ وذلك لأنَّ الحرف الذي يسبق الراء متحرك فعندها لا حاجة لنا بحركة

الراء... وفي حالة اعتبار الراء الأولى زائدة لا نحذفها مع الراء الواردة في نهاية الكلمة ؛ لأنَّ الراء زيدت للتضعيف، وليست من حروف الزيادة.

حيث قال : " وأمَّا مُحْمَرٌّ إذا كان اسم رجل فإنَّك إذا رخَّمته تركت الراء الأولى مجزومة ؛ لأنَّ ما قبلها متحرك فلا تحتاج إلى حركتها . ومن زعم أنَّ الراء الأولى زائدة كزيادة الياء والواو والألف، فهو لا ينبغي له أن يحذفها مع الراء الآخرة من قِبَل أنَّ هذا الحرف ليس من حروف الزيادة، وإنَّما يُزاد في التضعيف".(٤)

وقد أوضَح السيرافي ما يعنيه سيبويه بقوله : "ومن زعم ... إلى نهاية النص " إذ قال:" يعني أنَّ الذي يجعل الراء الأولى من (مُحْمَرٌّ) زائدة،لا يحذفها مع الراء التي بعدها كما حذف واو منصور مع الراء ؛لأنَّ الراء وما جانسها لا تجري مجرى حروف المد واللين في الحذف، كما لم تجر مجراها في التصغير."(١)

١١. علة التقاء الساكنين :

لاحظنا عند حديثنا عن علة الحركة أنَّنا لم نحرك الراء في كلمة ( مُحْمَرّ ) عند حذف الراء الأخيرة منها ؛ وذلك لأنَّ ما قبلها متحرك. أمَّا في كلمة(إسحارٌّ)(٢) إذا سمينا بها رجلا فإنَّه لا بد لنا من تحريك الراء بعد حذف الراء الأخيرة من الكلمة حتى لا يلتقي ساكنان .والحركة التي ستكون على الراء هي الفتحة ؛لأنَّها جاءت تالية لحرف أُخذت منه الفتحة وهو الألف .وخوفاً من التقاء الساكنين فإنَّ المضاعف إذا أدغمناه وكان مسبوقا بحرف مجزوم فإنَّنا نحرك الحرفين الأخيرين من الكلمة بحركة أقرب الحروف المتحركة من الحرفين المدغمين .

يقول سيبويه : " وأمَّا رجل اسمه أَسحارٌّ فإنَّك إذا حذفت الراء الآخرة لم يكن لكُ بدٌّ من أن تحرك الراء الساكنة ؛لأنَّه لا يلتقي حرفان ساكنان . وحركته الفتحة لأنَّه يلي الحرف الذي منه الفتحة،وهو الألف. ألا ترى أنَّ المضاعف إذا أُدغم في موضع الجزم حُرِّكَ آخِرُ الحرفين ؛لأنَّه لا يلتقي ساكنان، وجُعل حركتُه كحركة أقرب المتحركات منه.وذلك قولك :لم يَرُدُّ، ولم يَفِرِّ ".(٣)

١٢. علة التضعيف :

إنَّنا حين نجد كلمة في اللغة العربيّة يتكرر فيها حرفان نقول: إنَّ هذه الكلمة مضعفة، والتضعيف يكون على أحد شكلين : إمَّا أن يتكرر الحرفان من غير إدغام وإمَّا أن يُدغما.ومن أمثلة الكلمات التي يتكرر فيها حرفان من دون إدغام : ضوضيت وقوقيت حيث يُعِدُّ سيبويه هاتين الكلمتين بمنزلة كلمة ضعضعت ؛ وذلك أنَّ هذه الكلمات قد تَكرر في كل كلمة منها حرفان متشابهان هما : العين في كلمة ضعضعت، والواو في كلمتي ضوضيت، وقوقيت؛إذ أبدلوا الواو ياء ؛ لأنَّ الواو قد جاءت رابعة في الكلمة ويرى سيبويه أنَّ تكرير الحرفين كما هو الحال في الكلمات السابقة يكون بمنزلة تكرير الحرف الواحد في حالة الإدغام،وذلك لأنَّ الواوين في كلمتي : ضوضيت وقوقيت بمنزلة الياءين في كلمة حييت، وبمنزلة الواوين في كلمة قوّة وعلة ذلك التضعيف كما ذكر سيبويه مورداً قول الخليل الآتي : " وقال ضوضيت وقوقيت بمنزلة ضعضعت ولكنَّهم أبدلوا الياء إذ كانت رابعة . وإذا كررت الحرفين فهما بمنزلة تكريرك الحرف الواحد، فإنَّما الواوان ههنا بمنزلة ياءي حَيِيت وواويْ قوَّة لأنك ضاعفت ".(١)

وقد تثير الجملة الأخيرة من النص السابق السؤال الآتي وهو : لماذا كانت الواوان في كلمتي ضوضيت وقوقيت بمنزلة ياءي حييت وواوي قوَّة ؟ لعل الجواب عن هذا التساؤل يكمن في أنَّنا حين أدغمنا الحرفين ونطقنا بهما بذلنا نفس الجهد العضلي الذي بذلناه عند نطقنا لكلمتي ضوضيت وقوقيت . ويعني سيبويه " أنَّ الواوين في ضوضيت وقوقيت وإن كانت الثانية منهما منقلبة ياء بمنزلة ياءي حييت وواوي

قوّة،وذلك أنَّ ياءي حييت وإن كانتا ياءين على لفظ واحد هما عين الفعل،والأخرى لامه وكذلك واوا ضوضيت إحداهما عين والأخرى لام".(٢)

١٣. علة التقابل :

يُعرَّف الفاعل في اللغة العربية بأنَّه هو الذي فعل الفعل أو اتّصف به، وهناك كلمات في لغتنا العربية يَتبيَّن من خلالها الذي يقوم بالفعل،والذي يقع عليه الفعل،مثل الكلمات الآتية : (له،لهنّ،عليه) ؛لأنَّ كلمة( له) تشير إلى التملك والذي يملك الشيء يفعل به ما يشاء ؛ فمن هنا نستطيع القول : إنَّ كلمة (له) تدل على الفاعليّة. أمَّا كلمة (عليه) فمن الواضح أنَّها تشير إلى الذي يقع عليه الفعل؛فلهذا من الممكن القول بأنَّها تدل على المفعول به .

يقول سيبويه: "ومن ذلك عليه نَوْحٌ نَوْحُ الحمام، على غير صفة ؛ لأنَّ الهاء التي في (عليه) ليست بفاعل، كما أنَّك إذا قلت:(فيها رجل)،فالهاء ليست بفاعل فعلَ بالرجل شيئا،فلما جاء على مثال الأسماء كان الرفع الوجه. وإن قلت : لهنّ نَوْحٌ نَوْحَ الحمام فالنصب، لأنَّ الهاء هي الفاعلة".(٣)

وقد قال السيرافي حول النص السابق : " الفرق بين هذا وبين له صوت،أنَّ الذي له الصوت فاعل الصوت،والذي عليه النوح ليس بفاعل للنوح. وقوله: " نوح الحمام " ليس بصفة لنوح؛ لأنَّه معرفة ونوح نكرة، إنَّما هو بدل أو على إضمار هو وقد مضى نحو هذا. وإذا قلت :لهنَّ نوحٌ نوحَ حمام وأنت تعني النوائح كان الوجه النصب؛لأنَّهن الفاعلات".(٤)

١٤. علة التمكّن :

إنَّ الاسم يُقسم على قسمين : " متمكن وغير متمكن "، فالمتمكن هو المُعْرب وغير المتمكن هو المبني " والمتمكن على ضربين : أحدهما مستوف للتمكّن ويسمى الأمكن، والآخر ناقص التمكن، فأمَّا الأمكن فهو ما يدخله الرفع والنصب والجر والتنوين،والناقص التمكن هو ماُ يمنع الجر والتنوين ".(١) وهو ما يمنع الجر بالكسرة.

وقد بيَّن سيبويه أنَّ الأسماء لا تُجزم ؛ لعلة التمكّن،ولأنَّه يلحقها التنوين حيث قال:"وليس في الأسماء جزم ؛ لتمكنها، وللحاق التنوين".(٢) وقال السيرافي: "بأنَّ المتمكن من الأسماء هو كل ما دخله الإعراب منصرفا كان أو غير منصرف؛لأنَّه تصرَّف ضربا من التصرف وهو تنقله من فتحة إلى ضمة، ومن ضمة إلى فتحة ".(٣)

وما نخلص إليه مما سبق أنَّ " الإعراب لا يكون إلا في الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة، وإنَّ الاسم المتمكن يُرفع ويُنصب ويُجر ولا يُجزم".(٤)

فالأسماء المتمكنة قسمان : الأسماء المصروفة، وغير المصروفة .وأمَّا لماذا كان الاسم غير المصروف متمكّنا ؛فلأنه تصرَّف تصرفا يجعله قابلا لتغير الحركة بتغير الموقع الإعرابي .

وقد رأيت قبل أن ننتقل إلى قسم آخر من أقسام الدليل التفسيري أن أبيِّن مقدار اهتمام سيبويه بكل ركن من الأركان التي يقوم عليها السياق، والتي كنا قد تحدثنا عنها في موطن سابق من هذا البحث إذ جاءت النسب على النحو الآتي :

الركن الأول : مراعاة الاستعمال اللغوي الصحيح للتراكيب اللغوية جاء بنسبة(٢، ٤٦بالمئة )

الركن الثاني: التفاعل الذي يحدث بين الكلمات ؛من أجل إيراد المعنى جاء بنسبة ( ٢،١٤بالمئة)

الركن الثالث: مراعاة الخفة في النطق على اللسان جاء بنسبة( ٢١،٦ بالمئة)

وما يتعلق بمراعاة الخفة في النطق نجده بنسبة أقل من الركن الأول وهذا يدل على أنَّ الاستعمال اللغوي الصحيح للتراكيب النحوية الذي ينطوي تحت السياق اللغوي يأتي بدرجة أهم من مراعاة الخفة في النطق على اللسان.

وإنَّ الركن الأساس الذي يجب أن يقوم عليه السياق كما يرى سيبويه هو: الاستعمال اللغوي الصحيح للتراكيب اللغوية عن طريق الالتزام بالقوانين التركيبية التي تضبط الاستعمال الصحيح للغة، ومِن ثَمَّ تؤدي بنا إلى إيصال المعنى بشكل واضح.

وإنَّ ما يمكن أن نخلص إليه هو أنَّ الركن الأول من الأركان المذكورة سابقا يُعَدُّ أصلا يقوم عليه السياق، وإنَّ الركنين الآخرين يُعدان فرعين تابعين له .

ومن الواضح أنَّ معنى السياق في ذهن سيبويه هو : جريان الكلام على وفق ما تتطلبه قوانين التراكيب اللغوية .

ويمكن أن نجمل أهمية ما توصَّل إليه البحث من نتائج فيما يأتي:

١ . إنَّ العلل التي استند عليها سيبويه في كتابه علل تتصف بالسهولة والسلاسة وتنبُع من كلام العرب الذي اتّخذه أساساً؛لإثبات ما يذهب إليه في آرائه النحوية.

٢ .إنَّ دراسة الجانب التعليلي في كتاب سيبويه تدل على أنَّ نحونا العربي لم يتأثر بمنطق أو فلسفة أو علم كلام، فهو نحو عربي خالص لا تشوبه شائبة فما علَّل به سيبويه، وما علَّل به

غيره من العلماء أتى من الواقع اللغوي، فلو كان هناك تأثر بعلماء منطق أو فلسفة لظهر في علل علمائنا؛ لأنَّ التعليل يُعَدُّ المركز الأساس الذي قام عليه النحو العربي.

٣ .قلة ما استند عليها سيبويه من آراء غيره من العلماء فيها مؤشر على ظهور شخصية سيبويه في كتابه،وإيراد سيبويه لأكثر من قول من أقوال العرب حول المسألة الواحدة يدل على معايشته ومشافهته لهم لفترات زمنيَّة طويلة أدَّت في النهاية إلى معرفته الواسعة بكلامهم.

٤ . وظف سيبويه مختلف العلوم في تعليلاته كعلم الدلالة،وعلم البلاغة وعلم النفس،والبديع،وغيرها من العلوم.

٥. تدل خشية العرب من الوقوع في الالتباس على أنَّهم كانوا يُعْنَون بالوضوح في استعمالاتهم اللغويَّة .

٦. قد يُلاحظ أنّ مفهوم السياق في ذهن سيبويه يكمن في جريان الكلام على وفق ما تتطلبه فوانين التراكيب اللغوي.

## قائمة المصادر والمراجع

١. الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، د. أحمد سعد محمد،الناشر مكتبة الآداب، جامعة عين شمس، ط ١ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢. أصول تراثية في علم اللغة،كريم زكي حسام الدين،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، ط٢،١٤,٤هـ - ١٩٨٥ م .

٣. أصول التفكير النحوي،د.علي أبو المكارم،مطابع دار القلم،بيروت لبنان، ط١،١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣م.

٤. التعليقة على كتاب سيبويه،تأليف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسي، تحقيق د . عوض بن حمد القوزي، ط١،١٤١. هـ- ١٩٩. م.

٥. الخصائص،ابن جنّي،تحقيق محمد علي النجَّار،ط١،المكتبة العلميَّة

٦. دروس في المذاهب النحويَّة،د. عبده الراجحي،دار النهضة العربيَّة،بيروت ط١، ١٩٨.م.

٧. الرمَّاني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه،د. مازن المبارك دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط١، ١٩٧٤م .

٨. سيبويه إمام النحاه،علي النجدي ناصف،مكتبة نهضة مصر ط١ ١٩٥٣م

٩. سيبويه حياته وكتابه، د. خديجة الحديثي،من الأبحاث المقدمة لمهرجان المربد الثالث دار الحرية للطباعة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٠-الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د. خديجه الحديثي مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤هـ. ١٩٧٤م.

١١-شرح أبيات سيبويه،تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس،تحقيق زهير غازي زاهد،مطبعة الغري الحديثة،ط١٩٧٤،١م.

١٢- شرح أبيات سيبويه،تأليف أبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي،تحقيق د .محمد علي سلطاني،ج١،مطبعة الحجاز بدمشق ١٣٩٦هـ -١٩٧٦م .

١٣-شرح جمل سيبويه،محمود سليمان ياقوت،دار المعرفة الجامعية الاسكندريه، ط١،١٩٩٢م.

١٤-شرح كتاب سيبويه ج١،السيرافي،تحقيق د .رمضان عبد التواب ود.محمود فهمي حجازي،و د. محمد هاشم عبد الدايم،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ م.

١٥-شرح كتاب سيبويه، ج٢،تحقيق د. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م .

١٦-شرح كتاب سيبويه المسمى تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن خروف، المتوفى ٦٠٩هـ،دراسة وتحقيق: خليفة محمد خليفة بديري، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي.

١٧-شرح المفصل، لابن يعيش،عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي القاهرة.

١٨-ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي،د. طاهر سليمان حموده، الدار الجامعية،الاسكندرية،ط١، ١٩٨٢م.

١٩-علم الدلالة،أحمد مختار عمر،مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ط٢،١٩٨٢م.

٢٠-فهارس كتاب سيبويه ودراسة له،صنع:محمد عبد الخالق عضيمة ط١،مطبعة السعادة القاهرة،١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.

٢١-فهرس شواهد سيبويه،صنعه:أحمد راتب النفاخ،بيروت،١٩٧.م.

٢٢-الكتاب،سيبويه،تحقيق عبد السلام محمد هارون،الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، ط٣، ١٤,٨هـ -١٩٨٨م.

٢٣-كتاب سيبويه وشروحه، د.خديجة الحديثي،ط١، دار التضامن بغداد ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م

٢٤- المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه، د. محمد عبد المطلب البكاء دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد،٢٠٠١م .

٢٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص٤٠، تحقيق د . إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٥٩م .

٢٦-النكت في تفسير كتاب سيبويه،لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري،تحقيق زهير عبد المحسن سلطان،منشورات معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط١،الكويت،١٤,٧هـ -١٩٨٧م .

ج - الرسائل الجامعية

١- دور السياق في منهج التحليل النحوي عند سيبويه،رسالة للحصول على درجة الماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الأردنية ١٤١١هـ -١٩٩١م إعداد: موسى إبراهيم موسى الشلتاوي، إشراف الأستاذ الدكتور: نهاد الموسى .

## هوامش البحث

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص٤.، تحقيق د . إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م .

(٢) السابق، نفسه، ص ٣٩ .

(٣) ينظر : علم الدلالة ص ٧.، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢، و أصول تراثية في علم اللغة، ص٧٤، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصريه القاهرة ط ٢، ١٤,٤ هـ- ١٩٨٥م.

(٤) دور السياق في منهج التحليل النحوي عند سيبويه، موسى إبراهيم الشلتاوي، مخطوطة رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية الجامعة الأردنيّة، ١٩٩١م .

(٥) الكتاب ج ١ ص ٦٨، وينظر في علة الاستعمال ج ٢ ص ٤...

(٦) الشاهد في أمالي ابن الشجري ١: ٢٩٦ من د ون نسبة . وفي الكامل للمبرّد ١٦٣ " وأنشد سيبويه لعدي بن زيد العبادي ".نقلاً عن الكتاب الحاشية ج١ ص٦٦ .

(٧) الكتاب، ج ١ ص ٦٦، وينظر في علة الاستغناء ج ١ ص ٧٦، و ج ٣ ص ٣٣٨ و، ص ١٢١.

(١) الكتاب، ج٣ ص ١٢٤.

(٩) الكتاب،الحاشية،ج٣ ص١٢٤ .

(١٠) الخصائص،ج١ ص١١٤ .

(١١) الكتاب،ج١ ص٢٥٢ .

(١٢) الكتاب،ج١ ص ٤١٤ .

(١٣) الكتاب،ج٢ ص ٦٩.

(١٤) الكتاب،ج٢ ص ١٨٢ . ١٨٣، وينظر في علة إطالة الكلام،ج١ ص١٨٦.

(١٥) النحو العربي والدرس الحديث، د .عبده ا لراجحي، ص ٨٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

(١٦) الكتاب،ج٢ ص ٥٨ .

(١٧) السيرافي، الكتاب، الحاشية، ج٢ ص ٥٧ .

(١٨) الكتاب،ج٢ ص ٣٨. وينظر في علة الاكتفاء ج٢، ص ٢٣٣،ج٣ص٥٦١ .

(١٩) الكتاب،ج٣ ص٢,٥.

(٢٠) إنَّ الحديث في نص سيبويه مقصور على الثلاثة الأحرف الأولى دون إذن.أمّا إذن فقد أفرد لها حديثاً خاصاً في الكتاب ج٣ ص ١٢ .١٣. وأفرد حديثاً عن حتَّى في ج٣/٨.٥.

(٢١) الكتاب،ج٣ ص ١٣، وينظر في علة عدم التصرف،ج١ص٧٣، وج٢ص١٢٤.

(٢٢) الكتاب، ج٢ ص ٢٦٤، وينظر في علة الحركة ج٣ ص٢٦١، و ص ٣١٩، ج٤ ص ١٣٢ .

(٢٣) الكتاب، الحاشية،ج٢ص٢٦٤ .

(٢٤) تأتي كلمة الاسحار بفتح الهمزة وكسرها مع تشديد الراء ينظر : الكتاب، الحاشية، ج٢ ص٢٦٤ .

(٢٥) الكتاب ج٢ ص٢٦٤ ــ ٢٦٥، وينظر في علة التقاء الساكنين، ج٢ص٣٦٩، ج٣ص٢٨٦، ج٤ ص١١٥.

(٢٦) الكتاب،ج٤ ص٣٩٣ .

(٢٧) النكت في تفسير كتاب سيبويه، ج٢، ص١٢١٦،الأعلم الشنتمري،تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط١ الكويت١٤,٧هـ – ١٩٨٧م.

(٢٨) الكتاب، ج١ ص٣٦٥. ٣٦٦ .

(٢٩) الكتاب، الحاشية،ج١ ص٣٦٥.

(٣٠) النكت في تفسير كتاب سيبويه،ج٢، ص ٨١١، للأعلم الشنتمري .

(٣١) الكتاب،ج١ ص١٤، وينظر في علة التمكن ج٣ ص٢٦٨، ص٤٧٨ .

(٣٢) شرح كتاب سيبويه، السيرافي،ج٢ ص٤٥، تحقيق د. رمضان عبد التوّاب،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠.م

(٣٣) دروس في المذاهب النحوية، ص٢.، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية بيروت، ط١، ١٩٨٠.م .

**ABSTRACT**

The goal of research seeks to achieve is to show that Sibawayhi was Belga to what might be called ills interpreted contextual، which was classified based on the interactions within the context of all the elements of language as it came the ills of those ills alleged as follows: a bug-friendly، and the reason for dispensing and the reason for non-approval، and prolong the illness talking، not acting bug، bug movement، and bug meet residents، and multiple reward bug، bug convergence، and being able to bug، which ended a series of important research findings.